مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص:٦٠٧-٦٢٣
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

عِللُ التعبير القرآنيّ في سورة الفيل

أ. م. د. مجيد جابر محسن صالح

قسم اللّغة العربيّة، كليّة التربية، جامعة دجلة، بغداد، العراق

Majeed.jaber@mohser.gov.iq

المستخلص

تناول البحث سورة الفيل ، وهي من سور القرآن الكريم القصيرة لما فيها من دلالات عظيمة لقدرة الله تعالى وهي أن جعل هلاك أقوى خلقه على يد أضعف خلقه ، وتتجلى في أن الطير أهلكت الفيل ومن معه من جيش وعدّة ، وبدأت السّورة بأعلى مقام وهو خطاب الله تعالى إلى الرّسول الأعظم محمّد (صلى الله عليه وآله) وهذا لا مقام فوقه ، وانتهت بأدنى مقام وهو العصف المأكول إذ لا قيمة له ، وتألفت السورة من خمس آيات استعملت فيها خمسة ألفاظ اختصت بها السّورة لم تذكر في القرآن إلا فيها ، واستعملت فيها ألفاظ من غير مرادفاتها لعلة ذكرت في مكانها من البحث .

الكلمات المفتاحية

سورة الفيل ؛ القران الكريم ؛ تفسير

تاريخ الاستلام: ٢/٤ /٢٠٢٦ تاريخ القبول: ١٧/٥ /٢٠٢٥ تاريخ النشر: حزيران /٢٠٢٦

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٦٠٧ - ٦٢٣
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

The Rationale Behind the Qur'anic Expression in Surat Al-Fil

Assist. Prof. Dr. Majid Jaber Mohsen Saleh

Department of Arabic Language, College of Education, Dijlah University, Baghdad, Iraq

Majeed.jaber@mohser.gov.iq

Abstract

The study dealt with Surat Al-Fil, one of the short surahs of the Qur'an, because of its great indications of God's power, as He made the destruction of the strongest of His creation occur at the hands of the weakest of His creation. The surah begins with the highest status, namely Allah's address to the Prophet Muhammad (peace be upon him and his family), above which there is no status, and ends with the lowest status, namely eaten straw, which has no value. The surah consists of five verses and includes four words that occur only in it in the Qur'an. It also uses certain words instead of their synonyms for reasons mentioned in the research.

Keywords:

Surat Al-Fil; The Holy Qur'an; Interpretation.

Received: 2/4 /2025 Accepted: 17/5 /2025 Published: June /2026

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص:٦٠٧-٦٢٣
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

المقدّمة :

لا يختلف اثنـان في إعجاز القرآن الكريم في ظاهره وباطنه ، فهو كتاب الله الذي لا يدانيه كتاب آخر من حيث الأسلوب ، والنظم ، والمعنى ، وله منزلته العظمى عند الأمة الإسلاميّة وغير الإسلاميّة ، فكان ولا يزال هو الأثر السّاطع ، والبرهان القاطع في الوحي السّماوي ، والتشريع الإلهي لما اشتمل عليه من تبيان الأحكام الشّرعيّة ، فضلا عن ذكر أخبار الماضين – كما في قصّة أصحاب الفيل موضوع البحث – وحوادث المتأخرين وما يحتاجه النّاس في معاملاتهم من نظم اجتماعية ، ودساتير أخلاقية لحفظ نوعهم ، وصيانة المجتمعات ، وكشف أيضا عن غوامض الإيجاد ، وأسرار التكوين في بدء الخلق والمعاد .. وغير هذا كثير.

إنّ قـراءة القرآن الكريم من الأعمال المحـمودة التي حثّ عليـها الرّسول الأعظـم محـمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إذ يؤجـر القارئ فله في كلّ حرف حسـنة ، فكيف إذا كان العـمل هو الكتابة والبحث في مكنونه نعم هو عمل تهنأ له النّفس ، وينشرح له القلب ، لأنّ القرآن هو نبعٌ صافٍ ، وريّ شافٍ ، وهدي كافٍ لبني البشر كافة .

ولهذه الأسباب وأسباب أخرى ، وقع اختياري على سورة من سور القرآن الكريم القصار، وهي (سورة الفيل) لدراسة علل التعبير فيها ، لما في هذه السّورة من لفتات رائعة ، وفيها عبرة لمعالجة قضيّة العقيدة كسائر السّور المكيّة .

وجاءت هذه الدراسة على النّحو الآتي :

١- المقدّمة ٢ - سورة الفيل. ٣ - أسماء السّورة .

٤ - غرض السّورة وأهدافها . ٥ - علل التعبير القرآني في سورة الفيل. ٦- الخاتمة .

٧ - المصادر والمراجع ، وقد جمعت بين القديم والحديث على وفق منهج البحث العلمي الصحيح .

وقد أعرضت عن أسباب نزول السورة لاختلاف الروايات في قصة أصحاب الفيل والطير ، وأرى أنها لا تفيد البحث في شيء وإن كانت لا تخلو من فائدة عامّة وعبـرة .

سُورةُ الفيـل

بسم اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

أَلَـمْ تَـرَ كَيْـفَ فَعَـلَ رَبُّـكَ بِأصْحَـابِ الفيـلِ (١) أَلَـمْ يَجْـعَلْ كَيْـدَهُمْ في تَضْلِيـلٍ (٢)

وَأرْسَـلَ عَلَيْـهِمْ طَيْـرًا أبَابيـلَ (٣) تَرْمِيـهِمْ بِحِجَـارَةٍ مِنْ سِـجّيلٍ (٤)

فَجَعَـلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأكُولٍ (٥)

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص:٦٠٧-٦٢٣
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

أسماء السّورة :

في تسمية هذه السّورة ثلاثة آراء : (منّة المنّان في الدّفاع عن القرآن /٢٠١٠ ص ١٩٧)

١- سورة الفيل ، والعلّة هي تسميتها باسم أقوى حيوان لم تألفه العرب آنذاك .

٢- السّورة التي ذُكر فيها الفيل ، وهو منهج الشّريف الرّضي في تسمية السّور في كتابه حقائق التأويل في متشابه التنزيل ، وتلخيص البيان في مجازات القرآن .

٣- رقمها في تسلسلها من المصحف وهو (١٠٥) .وأضيف إلى تلك الأسماء :

٤- سورة (ألم ترَ) إذ ابتدأت بالاستفهام الاستنكاري .

٥- سورة أصحاب الفيل ، للتركيز على الفاعل وليس الأداة حتى لا تصبح القصة قصة (الفيل) وإنّما طغيان (البشر)

غرض السّورة وفضيلتها وأهدافها :

السّورة مكيّة ، وهي من آيات الله المباركات فيها إشارة واضحة إلى أصحاب الفيل إذ قصدوا مكّة لتخريب الكعبة المعظّمة ، وهي أول بيت وضع للناس .

افتتحت السّورة بخطاب الرّسول محمّد (صلى الله عليه وآله) لتقرير رؤيته القلبيّة لهذه القصّة بمعاينة الآثار الظاهرة ، أو بإخبار الله تعالى إجمالا إلى تحطيم كيدهم وإبطاله فدمّرهم أشنع تدمير بإرسال الطير الأبابيل ، وتضمّنت مقدّمة السورة صورة من صور التشويق اللفظي للمتلقي من غير تفصيل وبيان عام للحدث ، وهي من السّور المباركة التي ابتدأت بالاستفهام وهي سور: الدّهر ، والنّبأ ، والغاشية ، والانشراح والفيل ، الماعون ، ومن السّور ذات الخمس آيات وهي سور : القدر ، واللهب والفلق ، والفيل ، والسّورة الوحيدة التي خُتم اسمها وتمام آياتها بحرف اللام ، والسّورة الثانية التي جاء فيها بعد الاستفهام فعل الرّؤية (أَلَمْ تَرَ) .

والغرض من هذه السّورة تذكير القارئ والسّامع بهذا الحدث العظيم والبلاء الرّبّاني الخارق في معرض الإنذار والتهديد بما وقع من نكال من الله تعالى على أصحاب الفيل ، وفيها دعوة إلى الابتعاد عن مواقف الأذى والجحود فمن قدرته تعالى أن صبَّ بلاءه على هؤلاء – أصحاب الفيل – مع ما هم عليه من شدّة البأس وكثرة العدد (تفسير البصائر: رستكار الجويباري/١٤٢٣هـ :١١٧/٥٩) ، وفيه درس عبقري في العقيدة السياسية والاجتماعية والعسكرية .

أمّا في فضيلتها ، فقد روي عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السّلام) قوله : مَنْ قَرَأ في فَريضَةٍ (أَلَمْ تَرَ ...) شَهِدَ له يَومَ القيامةِ كلُّ سَهلٍ وجَبَلٍ ومَدَرٍ أنّه كانَ مِنَ المُصَلّين) (مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي /١٩٩٥م :٥٢١/١٠)

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص:٦٠٧-٦٢٣
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

وتتلخص أهدافها بما يأتي : (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل : ناصر مكارم /١٤٢٣هـ :٤٧٢/٢٠)

١- التذكير بنعمة الله تعالى على قريش ، وتفهيمهم أنّه لولا لطفه تعالى ورعايته لما بقي أثر لمكّة والكعبة ، ولا لقريش ، وهذا عامل لكبح جماح المغرورين وعلى قبول دعوة الدّين الجديد .

٢- اقترنت هذه الحادثة بولادة الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانت ممهّدة للمبعث النّبوي المبارك ، وإرهاصًا من إرهاصات فجر الإسلام .

٣- في قصّة أصحاب الفيل تهديد لكل الطغاة في العالم من قريش وغيرهم ، ليعلموا أنّهم لا يستطيعون أن يقاوموا أمام قدرة الله تعالى ، فما عليهم إلا أن يعودوا إلى رشدهم ، ويخضعوا لأمر الله تعالى .

٤- تبيّن هذه السّورة أهميّة بيت الله تعالى المُكرّم ، لأنّ الأعداء أرادوا هدمه ونقل مركزيّته إلى مكان آخر .

٥- تؤكّد حادثة أصحاب الفيل مشيئة الله في جعل هذا الحرم آمنًا استجابة لدعوة إبراهيم الخليل (عليه السلام)

(التفسير العلمي للآيات القرآنيّة :ضياء جواد العاملي :٤١٥) (وَإِذْ قَالَ إبراهيمُ رَبِّ اجعَلْ هذا بَلَدًا آمِنًا وارزُقْ

أهلَهُ مِنَ الثّمراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ) البقرة :١٢٦

علل التّعبير القُرآني في سُورة الفيل

قال تعالى : (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ**)

*** الهمزة :** لا تعدو الهمزة إلا أن تكون حرف استفهام بمعرض التعجّب (زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي /١٩٨٧م :٣٠٨/٨) ، وهذه الهمزة هي لنفي ما بعدها ولمّا كان ما بعدها منفيّا لذا لزم الثّبوت لأنّ نفي النفي إثبات (مغنى اللبيب من كتب الأعاريب لابن هشام : ١٧/١) ، واللفظ استفهام والمعنى تقرير (والجامع لأحكام القرآن للقرطبي/١٩٨٥م:١٨٧/٢٠) ، وعلة الهمزة ههنا إيقاض العقل (الجاهل أو الغافل) عن القدرة الإلهيّة ,والاستفهام إمّا أن يكون اعتياديّا أو استنكاريّا ويتعلق الاستفهام الاعتيادي بحادثة الفيل – مسلّمة الصّحة – فيكون ذلك استفهاما عن العدم الذي لم يتحقق لا عن الوجود الذي حصل ، أمّا الاستفهام الاستنكاري فهو إذا كان متعلّقا بالرؤية وليس هو أصل الحادثة (منّة المنّان في الدفاع عن القرآن /٢٠١٠ :١٩٧) ، والحادثة ليست عجيبة بالنسبة لأمر الله تعالى وقدرته ، والعلة في ذلك هي : (التفسير الكبير للرازي :٩٦/٣٢)

١- إنّ الكعبة هي تبع لرسوله الكريم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فكأنّه تعالى يقول لرسوله : إنّ الملك العظيم لمّا طعن في المسجد هُزم وأُفني ، فمَنْ يطعن فيك سيلاقي المصير نفسه .

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص:٦٠٧-٦٢٣
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

٢- إنّ الكعبة هي قبلة للصلاة ، والقلب قبلة المعرفة ، والله تعالى حفظ قبلة العمل من الأعداء ، فعلى رسوله أنْ يحفظ قبلة الدّين عن المعاصي .

*** تَـرَ :** الرؤية هنا : بمعنى النظر بالقلب (قلبيّة) (جامع البيان عن تأويل آي القرآن/١٩٩٥م:٣٠/٣٨١) ، أو بمعنى العلم ،لأنّ رؤية البصر لا تتعلق بما قد تقضّى وعُدِم (التبيان في تفسير القرآن للطوسي/١٤٠٩هـ:١٠/٤٠٦) ، فيكون المعنى : ألَمْ تعلم علمًا رصينًا متاخمًا للمشاهدة والبيان باستماع الأخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة (تفسير السمعاني /١٩٩٧م :٣/٣٨٢ ، زاد المسيرفي علم التفسير/١٩٨٧ :٨/٣٠٨ ، التسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي/١٤١٦هـ:٤/٢١٨) ، أو ألَمْ تُخْبَر آثار ما فعل ربُّك بهؤلاء (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي/١٩٨٥ :٢٠/١٨٧) ، والمراد به (رؤية النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالعلم الباطن ، يكشفه الله تعالى له ، والسّياق دالّ على حصول الرّؤية فعلا لأنّ مؤدّى الاستفهام عن الرؤية استنكاري ، فيؤدّي إلى الجزم بالإثبات عن حصول الرّؤية والعلم) (منّة المنّان : ١٩٧).

أمّا علّة عدول قوله تعالى من (ألم تعلم) إلى (ألم ترَ) ، ذلك لأنّ الإنسان يتلقّى معلوماته الأوليّة عن طريق السّمع والبصر ، فعند ولادته لا يعلم شيئًا (واللهُ أخرجَكُم من بطونِ أمّهاتكُم لا تعلمونَ شيئا وجعَلَ لكم السّمعَ والأبصارَ والأفئدةَ لعلّكم تشكرون) النحل :٧٨ ، فأول شيء يتلقاه المولود هو الصّوت عن طريق حاسّة السّمع (الأذن) ، والآيات القرآنيّة كلّها التي تتحدّث عن السّمع والبصر بدأت بالسّمع ، لذا فالمعلومات التي يتلقّاها عن طريق السّمع تكون سابقة المعلومات التي يستقيها عن طريق البصر ، وبما أنّ حاسّة السّمع أقوى من البصر لكنّ البصر يسبق السّمع فالشيء الذي نشاهده لا يحتاج إلى برهان أو دليل في حين الذي نسمعه يحتاج إلى ذلك فصار

ما نشاهده بالعين من ثبوت الحقائق ، وما أخبر الله به رسوله هو بمرتبة الرؤية من حيث الثبوت واليقين والتأكيد

*** كَيْفَ :** مفعول مطلق لـ (فَعلَ) لا لـ (تَرَ) ، لما في (كيف) من معنى الاستفهام ، وهذا عند أغلب المفسّرين (الكشاف للزمخشري/١٩٦٦م :٤/٢٨٥، وجامع الجوامع للطبرسي/١٤٢١هـ:٣/٨٤٨) أو هي بدل من (ما) ، (لأنّ المراد تذكير ما فيها من وجود الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزّة بيته وشرف رسوله (صلى الله عليه وسلم) (تفسير البيضاوي/١٤١٨هـ:٥/٥٣٠) ، (وقيل منصوبة على الحال من الفاعل ، والكيفيّة حقيقة للفعل ، والجملة سدّت مسد مفعولي (تَرَ) ، وجوز بعضهم نصب (كيف) بـ (تَرَ) لانسلاخ معنى الاستفهام عنه) (روح المعاني للآلوسي :٣٠/٢٣٢) ، ولم أجد من جوّز ذلك - على نحو ما أعلم - وببحثي للآية في كتب التفسير المتيسّرة لدي سوى الآلوسي ، ونسب ذلك إلى غيره ، والرّاجح عندي هو الرأي الأول (المفعول المطلق) وهو رأي معظم المفسّرين .

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص:٦٠٧-٦٢٣
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

وعلة استعمال (كيف) دون غيرها مثل (ما فعل) ، وذلك (لأنّ الأشياء لها ذوات ، ولها كيفيّات بوصفها تدلّ على مداومتها ، وهذه الكيفيّة هي وجه الدّليل واستحقاق المدح بما يحصل برؤية هذه الكيفيّة لا برؤية الذوات ، ولا شكّ أنّ هذه الواقعة دليل على قدرة الله تعالى وحكمته وعلمه ، وهي دالة على شرف النّبي (صلى الله عليه وسلم) لأنّه يجوز تقديم المعجزات على زمان البعثة تأسيسًا لها (التفسير الكبير :٩٦/٣٢) ، فضلا عن تهويل الحادثة والإيذان بوقوعها على كيفيّة هائلة وهيأة عجيبة دالة على عِظم قدرة الله تعالى ، وهذه من الإرهاصات لما روي أنّ القصّة وقعت في العام الذي ولد فيه الرّسول محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) (إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم لمحمد بن مصطفى :٢٠٠/٩) .

*** فَعَـلَ :** استعمل القرآن الكريم لفظة (فعل) ولم يستعمل إحدى مرادفاتها نحو : خَلَقَ ، أو عَملَ ، أو جَعَلَ لأنّ الجَعْلَ : هو تغيير الصّورة بإيجاد الأثر ، وبغير ذلك ، كقول القائل : جعلتُ الطين خزفًا ، وجعل السّاكن متحرّكًا ، لأنّ الحركة ليست بأثر يؤثر فيه الشيء ، والجعل يكون بمعنى الإحداث والكيفيات كقوله تعالى : (وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنّورَ) الأنعام :١ ، وقوله تعالى : (وَجَعَلَ لَكُم السّمْعَ وَالأبْصَارَ) السّجدة : ٩ (الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري:١٣٦) وعمل : يحدث بعد الطلب ، وخلق : يستعمل لابتداء الفعل .

وحينما تنسب الأفعال إلى الله تعالى على أنّه مسبّب الأسباب وكل ما ينسب من فعل له فهو خارج النّواميس البشريّة والأدلّة كثيرة على ذلك ، وعلى سبيل المثال لا الحصر مثل البحر والنبي موسى (على نبيّنا وعليه السّلام) ، كيف انشقّ البحر وصار كلّ فرق كالطود العظيم ، ودليل النّار مع إبراهيم (عليه السّلام) فالنّار محرقة بطبعها لكنّ الله شاء ألا تكون كذلك ولولا قوله تعالى (سلاما) بعد قوله : (يا نارُ كوني بردًا) لتجمّد لكنّه حفظ نبيّه بلفظ (سلاما) .

وعليه فإن (فعل) مسند إلى (ربّ) هو عام يشمل ما سبق فيكون أولى بالاستعمال لأن الله تعالى خلق الطيور وجعل طبع الفيل خلاف ما كان عليه فيكون (فعل) يشمل المعاني كافة . (التفسير الكبير:٩٦/٣٢)

*** رَبُّـكَ :** قال الخليل : مَنْ ملك شيئا فهو ربّه ، ولا يقال بغير الإضافة إلا لله عزّ وجلّ ، وربّيت الصّبيّ والمُهرَ يخفّف ويثقل ، والرّبيبة : الحاضنة ، وربّبته وربّيته : حضنته (كتاب العين للفراهيدي١٩٨٥ :٢٥٦/٨) أمّا علّة استعمال لفظة (ربّ) وهي مضافة إلى ضمير المخاطب ، والمراد به الرّسول الكريم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، هي لما تعنيه هذه اللفظة من معنى ، إذ إنّ الأصل فيها التربية ، وهي إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدِّ التّمام ، يقال : رَبَّهُ ، وَرَبّاه ، وَرَبَّبَهُ (المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ١٤٢٥ : ٢٤٨) .

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص:٦٠٧-٦٢٣
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

أنّ الله تعالى أولى رسوله الكريم عناية خاصّة منذ نشأته ، فيكون المعنى : ربُّك ومعبودك الذي فعل ذلك ، وهو تشريف له صلى الله عليه وآله وسلم (فكأنّه تعالى قال : إنّهم لما شاهدوا هذه الواقعة لم يتركوا عبادة الأوثان ، وأنّ رسوله لم يشاهدها واعترف بالشكر والطاعة ، وكأنّ الرّسول هو الذي رأى ذلك الانتقام ، فلا جرم أن تتبرأ منهم وهو المختار منهم فقوله تعالى : (رَبُّكَ) كأنّ الله لرسوله ، وليس للكافرين) (التسهيل لعلوم التنزيل :٢١٧/٤) ، والله تعالى أعلم .

*** بأصْحَـاب :** قال الخليل : (الصّاحِبُ : يُجْمَعُ بالصُّحْبِ ، والصُّحْبان ، والصُّحْبَة ، والصِّحَابُ ، والأصْحَابُ : جَمَاعَةُ الصَّحْبِ ، وَالصَّحَابَةُ : مصدر قولك صاحَبَكَ اللهُ وأحْسَنَ صِحَابتكَ ... والصّحابُ في حال يكون نعتًا ولكنّه عمّ في الكلام فجرى مجرى الاسم ، كقولك :صاحبُ مالٍ ، أي : ذو مالٍ ، وصاحبُ زيدٍ أي : أخو زيدٍ ... وكلُّ شيء لاءم شيئًا فقد استصحبه) (كتاب العين:١٢٤/٣) .

ويفهم من قول الخليل أنّ المصاحبة عامّة وليست خاصّة ، لاستعماله لفظة (شيء) في قوله : (وكلُّ شيء لاءم شيئًا فقد استصحبه) ، وهي تدل على العموم والإطلاق ، ولكنّه قيّد هذه المصاحبة بشرط ، وهو أن تكون هناك ملاءمة بين الطرفين المتصاحبين .

أمّا علّة استعمال هذه اللفظة وهي مضافة إلى الفيل (أصحاب الفيل) دون غيرها نحو : أرباب الفيل ، أو ملاك الفيل ، وذلك لارتباط ذكرهم بالفيل لاستعمالهم له وكثرة المخالطة معه ، أو يدل على أنّهم دون منزلة الفيل ، وما يؤكد هذا هو أنّهم كلما وجّهوه جهة الكعبة يتحول عنها ويفرّ (التفسير الكبير:٩٧/٣٢) .

وعلل ذلك صاحب (كتاب منّـة المنّـان) ولخّصها بثلاثة وجوه : (منّة المنّان:١٩٨)

الأول : لأنّهم أتباع أبرهة صاحب الفيل ، وهو الذي خطط لهم بأن يكون سيرهم حيث سار الفيل ، ووقوفهم حيث وقف ، ولا يميل الباحث إلى هذا التعليل ، إذ إنّ غاية اصطحاب الفيل هو لزرع الخوف والهلع عند قريش ، لأنّ هذا الحيوان غير مألوف عندهم .

الثاني : لتقدّم الفيل على الجيش كالقائد ، فيكون أبرهة نفسه مُسيّرًا من قبل الفيل ، وهم مُسيّرون من قبل أبرهة فيكون الجميع مُسيّرًا من قبل الفيل فصحّت النسبة إليه ، ولا أميل إلى هذا كما وضحت في الوجه الأول

الثالث : لو نظر أهل مكة إلى الجيش المعادي لقالوا: جاء الفيل مع جيشه ، ولعلّ أفراد الجيش لا يلتفتون دائمًا أنّهم في معيّة الفيل ، لكنّ هذا الشعور واضح لدى المشاهدين في مكّة ، والقرآن نزل من زاوية فهم أهل مكّة لا من زاوية فهم الجيش المعادي ، ولا أميل إلى هذا الوجه لأنه مَنْ أعلمنا أن أهل مكة يقولون ذاك القول ، فضلا عن احتمال التفات أفراد الجيش ، ووضوح المشاهدة في مكة ، والله تعالى أعلم

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص:٦٠٧-٦٢٣
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

*** الفِيْل :** والفيل حيوان معروف يجمع في القلة (أفيال) ، وفي الكثرة (فُيول) و(فِيَلَة) وقد ورد ذكره مرّة واحدة في القرآن الكريم (تفسير البصائر:١٦٠/٥٩)، وأصل اللفظة (يجوز أن يكون (فُعْلاً) كُسِر من أجل الياء كما قالوا: أبْيَضُ ، وبِيْضٌ ، فيكون الأفيال والأجياد بمنزلة الأجناد والأحجار ، وقد يكون ذُيُوكٌ وفُيُولٌ بمنزلة بُرُوجٍ

وجُرُوحٍ ، ويكون فِيَلَةٌ بمنزلة خِرَجَةٍ وجِحَرَةٍ ...) (كتاب سيبويه/٢٠٠٩ :٦٩/٤) .

(أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْـدَهُم في تَضْلِيـلٍ) :

*** الهمزة :** للتقرير ، وهو بيان إجمالي لما فعل الله بهم ، والجملة عطف على ما سبق ، وكأنّه تعالى قال : قد جعل كيدهم في تعطيل هدم الكعبة ، وتخريبها في تضييع وإبطال بأن دمّرهم أشنع تدمير (إرشاد العقل السليم: ٢٠٠/٩) .

*** يَجْعَـلْ :** قال الخليل : (جَعَلَ جَعْلاً : صَنَعَ صُنْعًا ، وَجَعَلَ أعَمّ ، لأنّكَ تقولُ : جَعَلَ يأكُلُ ، وَجَعَلَ يَصْنَعُ كَذا ولا تقولُ : صَنَعَ يأكُلُ ، وَالجَعْلُ : ما جَعَلْتُ لإنسانٍ أجْرًا لهُ على عَمَلٍ يَعْمَلهُ ، وَالجَعالَةُ أيضًا) (العين:٢٢٩/١).

والجعل هو تغيير الصّورة بإيجاد الأثر وبغير ذلك كجعل الطين خُزفًا (الفروق اللغوية : ٣٧٦).

والعلّة من استعمال هذا الفعل دون غيره ، لأنّه لفظ عام في الأفعال كلّها نحو فَعَلَ ، وصَنَعَ وسائر أخواتها، وجاء بصيغة المضارع لأن السورة ابتدأت بالماضي وذكر الحوادث نفسها فمن المستحسن ان يكون ذكرها مع الحدث والمضارع مناسب لهذا وكأن الحادثة هي الآن (تفسير العز بن عبد السلام ١٩٩٦/ :٤٨٨/٣)

*** كَيْدَهُم :** الكيدُ : من المكيدة (المفردات :١٢٨) ، وهو ضرب من الاحتيال ، وقد يكون مذمومًا وممدوحًا ، وإن كان يستعمل في المذموم أكثر ، وكذلك الاستدراج والمكر ، ويكون بعض ذلك محمودًا (العين:٣٩٦/٥)، والكيد : الضّرّ بخفاء و(سُمّي هنا كيدًا مع ظاهره لأنّ ما كان في قلبه أشدّ ضرًّا من الظاهر ، يريد صرف الحاج من الكعبة إلى الكنيسة التي بناها وهي القليس)(المفردات :٥٨٢)، وإن كان لكل حرب أسباب ظاهرة وأخرى باطنة خفيّة غير معلنة فالظاهر هنا ما لاحظه العرب من تهيئة الجيش ، وما خفي يعلمه الله وقد يكون منه الحسد الداخلي ، ومعنى كيدهم في هذا المقام هو سعيهم (التفسير الكبير:٩٧/٣٢) ، ومكرهم (جامع البيان:٣٨١/٣٠) ، واحتيالهم (تفسير السمعاني:٢٨٣/٦ ، وتفسير البغوي:٥٢٥/٤) أمّا إضافة (كيد) إلى الضّمير (هم) ، والمراد به أصحاب الفيل هي إضافة مطابقة لإرادتهم ، واختيارهم ، وهي دليل على أنّه تعالى لا يرضى بالقبيح (مجمع البيان :٤٤١/١٠) .

*** تَضْلِيـلٍ :** قال الخليل : ضَلَّ يَضِلُّ أضْلِلْ ، وضَلَّ يَضَلُّ أضْلَلْ : ضَاعَ وَجَازَ عَنِ القَصْدِ ، و (الضّلالُ والضّلالةُ مصدران ، وكلّ شيء نحوه من المصادر يجوز إدخال الهاء فيها ، وإخراجها في الشعر ، وأمّا

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص:٦٠٧-٦٢٣
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

في الكلام فَيُقْتَصَرُ به على ما جاء ت به اللغات ... والتِّضْلالُ مَصْدَرٌ كَالتَّضْلِيلِ ، والضَّلُّ مثله) (العين ٩/٧:)

وردت لفظة (تضليل) مرّة واحد في القرآن الكريم في سورة موضوع البحث (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم :٥٧٤) ، والضّلال : ضدّ الهداية ، يقال لكلّ عدولٍ عن المنهج عمدًا أو سهوًا يسيرًا كان أم كثيرًا (المفردات : ٣٩٢) وفي ضوء ما تقدّم يكون المعنى : جعل سعيهم ومكرهم وصنيعهم ، واحتيالهم ، في خسارة وأباطيل ممّا قصدوا إليه ، وعلة استعمال حرف الجر (في) لدلالة استغراق (كيدهم) في التضليل كأنّ كيدهم جزء من هذا التضليل ، أمّا علّة استعمال المصدر (تضليل) ، ولم يستعمل إضلال ، أو ضلالة ، أو ضلال ، أو تضلال ، أو الضّلّ ، هو أنّ التضليل والتضلال واحد(جامع البيان ٣٨١/٣٠:، وتفسير السمرقندي:٥٩٣/٣) .

و(الثلاثي ضَلّ ضلالاً ، وهو لازم ، والرباعي منه يكون بالتضعيف ، ضلّ تضليلاً ، والتهميز أضَلّ إضلالاً ،

ويكون متعدّيًا على النّحوين ، وكلتا المادّتين موجودتان في القرآن ، غير أنّه لم يرد بالتضعيف إلاّ في هذا المورد ، وذلك لأجل حفظ النسق القرآني في السّورة : الفيل ، تضليل ، أبابيل ، سجّيل .مأكول) (منّة المنّان : ١٩٩)

(وَأَرْسَلَ عَلَيْهِم طَيْرًا أبابيـلَ):

* **أَرْسَلَ :** فعل ماض كان مألوفًا عند العرب ، الرَّسْلُ : الذي فيه استرسال ولين (العين:٢٤٠/٧) ، وأصل الرّسل الانبعاث على التؤدة ، فيقال : ناقة رَسْلَةٌ سهلة السّير ، وإبلٌ مَراسيل : منبعثة انبعاثًا ، ومنه الرّسول المنبعث ، وتُصوّر منه تارة الرِّفق فقيل : على رسلك ، إذا أمرته بالرّفق ، وتارة الانبعاث فاشتق منه الرّسول ، ويقال تارة للقول المُتَحَمَّلُ وتارة لمُتَحَمِّل القول والرّسالة ... والرّسول يقال للواحد والجمع . (المفردات:٢٦٢)

والإرسال يقال في الإنسان وفي الأشياء المحبوبة والمكروهة ، وقد يكون ذلك بالتسخير كإرسال الريح والمطر نحو قوله تعالى : (وأرْسلنا السّماء عليهم مِدْرارًا) الأنعام : ٦ ، وقد يكون ببعث من له اختيار نحو إرسال الرّسل ، قال تعالى : (ويُرسِلُ عليكُم حَفظَة) الأنعام : ٦١ ، وقد يكون ذلك بالتخلية وترك المنع نحو قوله تعالى : (ألم ترَ أنّا أرسلنا الشّياطين على الكافرين تؤزّهم أزًّا) مريم : ٨٣ (المفردات:٢٦٣) .

* **عَلَيْهِم :** (على) حرف جر اتصل بضمير رفع متحرك ، والمراد من استعماله دون غيره مثل (اللام) أو (إلى) كأن يكون القول في غير القرآن : وأرسل إليهم ، أو أرسل لهم ، ذلك لأن الحرفين الأخيرين يناسبان العطاء والحرف (على) يدل على العلو والذي يناسب العذاب المرسل الواقع من الطير

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص:٦٠٧-٦٢٣
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

التي هي أصلا في علو فضلا عن أنها تدلّ على التمكن فقوة الطير تكمن في علوّه ، ولو استعمل لفظا آخر مثلا : من جانبهم أو من تحتهم لاختلف المراد تماما ، إذ إن قوة السلاح تكمن في علوه ولذلك نرى أن الحروب الآن تتمثل قوتها بسلاحها الجوي والطيران . (تفسيرالبحر المحيط:٥١١/٨) .

*** طيْـرًا :** اسم جمع وأنّث باعتبار المعنى (التفسير الكبير:٩٧/٣٢) ، وعلّة مجيئها نكرة لسببين :

الأول : أمّا تفيد التحقير فأنّه مهما كان ذلك (الطير) أحقر كان صنع الله تعالى أعجب وأكبر إذ إنّ الطير لا يعهد لمثل هذه المهمة الكبيرة ، إذا ما وازنّا بين حجم الطير مقابل حجم الفيل (التفسير الكبير:٩٧/٣٢) .

الثاني : وأمّا تفيد التعظيم كأنّ القول أرسل عليهم طيرًا أي طير ترمي بحجارة صغيرة فلا تخطيء (الجامع لأحكام القرآن:١٧٦/٢٠) وهنا تتجلى عظمة الخالق بأن أرسل أضعف جنوده وهي الطير مقابل أقوى جند على الأرض ، فلا ينظر إلى الحجم بل ينظر إلى التأثير الذي يتركه هذا المخلوق ، ومن جانب آخر أنّ وسيلة الله تعالى وهي الطير التي أهلك بها جيش أبرهة لا بد أن تعظم لتتناسب مع عظمة حادثة الفيل التي عظمها الله تعالى ، فضلا عن ذلك أنّ الوسيلة يجب أن تعظم لأن الفعل معظم وجاء تعظيم الفعل بإسناده إلى الذات العليا .

وأختلف المفسّرون في وصف هذه الطير وأشكالها وألوانها ، ولا يهم ذلك إن كان لونها أحمر أو أخضر أو أسود وشكل مناقيرها وأظفارها لكن المهم هي أنّها طير غير مألوفة من قبل ، وهي آية من آيات الله تعالى .

*** أبابيْلَ :** وردت هذه اللّفظة مرّة واحدة في القرآن الكرم في سورة موضوع البحث (المعجم المفهرس لألفاظ

القرآن الكريم:٣) في معناها قال الخليل : الإبلُ المؤبّلة : التي جُعلت قطيعًا قطيعًا ، نعتٌ في الإبل خاصّة ، وأبّلتِ

الإبلُ تأبُلُ أبلا أي : اجتزأت بالرّطب عن الماء .

والأبابيلُ : قطيعٌ خلفَ قطيع يتبعُ بعضُها بعضًا ، وخيلٌ أبابيلُ كذلك ، وقيل الإبالةُ هي الحزمةُ من الحطب (العين:٣٤/٨) ، وقد تكون هذه الحزمة كبيرة فشبّهت بها الجماعة من الطير في تضامّها (روح المعاني:٢٣٢/٣٠)

اختلف أهل اللّغة في مفردها (التفسير الكبير:١٠٠/٣٢) :

عند أبي جعفر الرّؤاسي (ت١٨٧ هـ) مفردها : إبالة .

وقال الكسائي علي بن حمزة (ت١٨٩هـ) : كنت أسمع النحويين يقولون واحدها أبول مثل عُجول وعجاجيل وعند الأخفش سعيد بن مسعدة (ت٢١٠هـ) والفرّاء يحيى بن زكريّا (ت٢١٠هـ) لا واحد لها

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص:٦٠٧-٦٢٣
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

مثل شماطيط وعباديد (الشّماطيط: هي الخيل المتفرقة : العين:٦/٢٤٠،والعباديد :هي الخيل إذا تفرّقت في ذهابها ومجيئها ولا تقع إلا على جماعة : العين:٢/٤٨) .

ويفهم من قول الخليل : (يتبع بعضها بعضا إبيلا إبيلا) إنّ اللفظة لها مفرد وهو إبيل ، وكذلك قول الكسائي : كنت أسمع ... وذكر البغوي الحسن بن مسعود (ت ٥١٦ هـ) واحدها من لفظها إبيل (تفسير البغوي:٨/٥٤٠).

وخلاصة القول وعلى اختلاف أهل اللغة والمفسّرين في مفرد هذه اللفظة : أنّ اللغة هي استعمال فمن العرب من استعمل لها مفردًا من لفظها ، ومنهم من لم يستعمل ، والتصوير الصّوتي للهمزة في (أبابيل) أصلية وعلّة اختيار اللفظ صوت الهمزة المتكرّر(أب ، أب) كأنّه يرسم صورة أجنحة الطير .

تَرْمِيْهِم بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيْلٍ

*** تَرْمِيْهِم :** (الرّمي يُقال في الأعيان كالسّهم والحَجَر نحو : (وما رمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولكِنّ اللهَ رَمى) الأنفال :١٧ وتقال في المقال كناية عن الشّتم كالقذف نحو : (وَالذِينَ يَرْمُونَ أزواجَهُم) النّور : ٦ ، وأرمى فلان على مائة استعارة للزيادة ، وخرج يترمّى إذا رمى في الغرض) (المفردات :٢٧٣) .

وبهذا فإنّ للفظة معنيين ، معنى حقيقي وآخر مجازي ، والأول هو المراد ههنا .

وردت هذه اللفظة بصيغة (ترميهم) مرّة واحدة في السورة موضوع البحث (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:٦٣) ، وجملة (ترميهم بحجارة) صفة للطير ، وعلّة استعمال الفعل بصيغة المضارع على الرّغم من أن الحادثة في الماضي وقد تحقق الفعل وذلك لحكاية الحال واستحضار تلك الصورة– صورة أصحاب الفيل - (روح المعاني:٣٠/٢٣٢) ولتكون هذه الحادثة عبرة لمن يعتبر .

وقُرئت (يرميهم) والفاعل هو الله تعالى أو الطير لأنّه اسم جنس والتأنيث على المعنى وهو لازم التذكير (التفسير الكبير:٣٠/١٠٠) ، وقيل بجواز الأمرين ، وقيل الضمير عائد على (ربّك) (روح المعاني :٣٠/٢٣٢، ولم يذكر في كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر / ١٩٧٢ : ٦٩٧، وكتاب تقريب النشر في القراءات العشر لابن الجزري (ت٨٣٣هـ) تحقيق الدكتور عادل إبراهيم - المملكة العربية السعودية / ١٤٣٣هـ ، وكتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : احمد بن محمد البنا (ت ١١١٧هـ) تحقيق شعبان محمد إسماعيل المكتبة الأزهرية ، ط١ / ١٩٨٧ م : ٢/٦٣٠).

*** بِحِجَارَةٍ :** وردت لفظة (حجارة) عشر مرّات في تسع آيات (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:٢٦٤) ، وفي معناها قال الخليل : الأحجار : جمع الحَجَر ، والحجارة : جمعُ الحجر على غير

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص:٦٠٧-٦٢٣
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

قياس (العين :٧٣/٣) ، وجملة (ترميهم بحجارة) صفة للطير (التفسير الكبير:١٠٠/٣٢) وفي ضوء ما قاله الخليل إنّ استعمال اللفظة في هذا المورد هي جمع حجر .

سِجِّيْلٍ : قال الخليل في معنى اللفظة : السّجّيل :حجارة كالمدر وهو حجر وطين ، ويُفسّر أنّه معرّب ودخيل (العين :٥٣/٦) ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم ثلاث مرات في ثلاث آيات (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن:٤٦٦) .

أختلف أهل اللغة والمفسّرون في معنى (سجّيل) فمنهم من قال أنّها من المعرّب عن الفارسيّة وتعني الطين المطبوخ ، واللفظة مكونة من مقطعين ، الأول : (سنك) ويعني الطين ، والثاني : (كل) ويعني المطبوخ (المعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي ١٨١،١٩٩٥ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤:٢٨٦/١٩٩٢) .

ومنهم من قال أنّها حجارة من جهنّم ، وهي اسم من أسماء جهنّم فأبدلت النّون باللام (٧٣) ، وليس المهم أن تكون هذه الحجارة من طين مطبوخ أو غيره بل العبرة هي قدرة الله تعالى في الطير إذ إنّها غير معهودة للقتل وهي تحمل حجارة صغيرة وتقتل هذا الجيش الكبير ، وشبه الجملة (من سجّيل) صفة للحجارة ، أي : كأنّه من طين مُتحجّر(روح المعاني:٢٣٢/٣٠) .

فَجَعَلَهُم كَعَصْفٍ مَأكُولٍ :

فَجَعَّلَهُم : وردت هذه اللفظة مضافة إلى الضمير(هم) ثلاث مرّات في القرآن الكريم ، في سورة الأنبياء : ٥٨ والشّورى : ٨ ، والفيل : ٥ (المعجم المفهرس:٢٣٦) ، والفاء : حرف عطف يفيد التعقيب ، وعطف ما بعدها على ما سبق دون مدّة زمنيّة بين المعطوف والمعطوف عليه ، فيكون المعنى الذي أفاده الحرف هنا هو أنّه تم هلاك أصحاب الفيل مباشرة بعد أن رمتهم الطير الأبابيل بالحجارة فلم تمهلهم من الوقت شيئًا وهذا علّة استعمال الفاء دون غيره .

وفي معنى (جَعَّلَ) قال الخليل : (جَعَّلَ جَعْلا : صَنَعَ صنعًا ، وجعل أعم لأنّك تقول : جعل يأكل وجعل يصنع ، ولا تقول : صنع يأكل ... والجعلُ : ما جعَلتَ لإنسان أجرًا على عملٍ يعمله) (العين :٢٢٩/١) .

ولمّا كان الفعل (جعل) هو لفظ عام في الأفعال كلّها نحو : فعل وصنع وسائر أخواتها لذا استعمله القرآن هنا دون غيره ، والكلام فيه حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه والتقدير : جعل أجسادهم ، أو على الإسناد المجازي لذهاب أرواحهم وبقاء الأجساد (روح المعاني: ٢٣٢/٣٠) .

أمّا علّة استعمال الفعل بصيغة الماضي هي دلالة على تحقق الأمر دون أدنى شك ، وكأنّ الله تعالى جعل لأصحاب الفيل أجرًا على عملهم هذا ، وما أسرع هذا الأجر .

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص:٦٠٧-٦٢٣
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

*** كَعَصْفٍ :** الكاف : للتشبيه وهو الأصل إذ يرى جمهور النحويين أنّ للكاف معان أربعة هي : التشبيه وهو الأصل نحو : يوسف كالبدر ، والتعليل : نحو : (واذكره كما هداكم) البقرة : ١٩٨ ، والتوكيد : وهي الزائدة نحو : (ليس كمثله شيء) الشّورى :١١ ، والاستعلاء : وهو قليل ، ينظر معجم النحو : عبد الغني الدّقر :٢٧٢ والعصف : جمع ومفرده عَصفة وعصافة وعصيفة (الجامع لأحكام القرآن:١٨٧/٢٠) .

وردت هذه اللفظة نكرة مجرورة مرّة واحدة في القرآن الكريم في سورة الفيل : ٥ (المعجم المفهرس:٦٢٠) ،

وفي معناها قال الخليل : هو ما على ساق الزرع من الورق اليابس فتفتّت ، أو هو دقائق التبن الذي إذا ذُرّي البيدر صار مع الرّيح كأنّه غبار وهو ما رواه عن أبي ليلى ، وروى عن أبي عرّام : هو ما يؤخذ من رؤوس الزّرع قبل سنبله فيعطى علفا للدّواب ، ويترك الزّرع حتى ينمو فيكون أقوى ، وأنكر ما سواه (العين :٣٠٦/١)

ويبدو أنّ للفظة (العصف) معنيين مختلفين ، الأول هو ما على ساق الزرع من ورق يابسًا أو غير يابس والثاني هو دقائق التبن الذي يشبه الغبار ، وفي الحالتين هو أوراق الزرع لكن الهيأة تختلف في الحالتين .

والعصف فيه أقوال أخرى فضلا عمّا ذكر(التفسير الكبير:١٠٠/٣٢) : هو الحبّ الذي أكل لبّه وبقي القشر ، أو ورق الزرع الذي يبقى على الأرض بعد الحصاد فتأكله الدّواب ، وكل المعاني التي ذكرت تؤدي إلى معنى واحد هو ورق الزّرع ، وهذا التعدد في المعنى جاء بحكم الاستعمال فهو في كل الأحوال بالٍ يابس ليست له قيمة (تفسير السمرقندي:٥٩٣/٣) .

*** مأكولٍ :** وردت هذه اللفظة وبهذه الصيغة مرّة واحدة في القرآن الكريم وفي سورة موضوع البحث (المعجم المفهرس:٤٩) ، وهي صفة لـ (عصفٍ) ، جاءت بصيغة اسم المفعول للدلالة على الحدث والحدوث ، فهو أي : اسم المفعول يدلّ على الثبوت إذا ما قيس بالفعل ، وعلى الحدوث إذا ما قيس بالصّفة المشبّهة (معاني الأبنية في العربية:د.فاضل السامرائي ٢٠٠٧ : ٥٢) . فأفادت دلالته الاستمرار من حيث الزمن إذ إنّ هلاك أصحاب الفيل بالحجارة السجّيل أدّى إلى جعلهم كالعصف المأكول ، فيكون الحدث واقعا وثابتا للفعل (أكل) .

وعليه يكون المعنى : جُعلت أجسادُهم متناثرة بعد إصابتها بالحجارة وهي تشبه الزرع اليابس أو التبن أكلته الدّواب ثم ألقته فتذروه الرّياح بعد جفافه وتتفرّق أجزاؤه (الجامع لأحكام القرآن :١٨٧/٢٠) وبهذا كانت النهاية البصريّة من هيبة الفيل إلى قشّة في غاية التصغير .

الخاتمة :

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص:٦٠٧-٦٢٣
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

بعد هذه الرحلة الممتعة مع كتاب الله تعالى أختم البحث بما هو آت :

١- سورة الفيل هي من السور المباركة التي ابتدأت بالاستفهام وهي (الدّهر ، والنّبأ ، والغاشية ، والانشراح ، والفيل ، والماعون.)

٢- قلب الموازنة ما بين سورة الإعجاز الحيواني إلى إدانة إنسانية .

٣- هي السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي ختم اسمها وآياتها بحرف اللام .

٤- هي السورة الثانية من السور ذات خمس آيات التي ورد فيها بعد الاستفهام فعل الرؤية وهما : الفجر :٦ ، والفيل : ٥

٥- استعمل القرآن أسلوب الاستفهام الاستنكاري في هذه السّورة للدلالة على الجزم بالإثبات .

٦- بيّن البحث استعمال ألفاظ معيّنة دون مرادفاتها لعلة ذكرها البحث في مكانها .

٧- اختصت السورة بألفاظ لم ترد إلا فيها من القرآن الكريم وهي : الفيل – تضليل – أبابيل – عصفٍ – مأكول وبهذا فالسورة مكونة من خمس آيات تضمنت خمس مفردات لم تذكر في القرآن إلا فيها.

٨- بيّن البحث علّة إسناد (فعل) إلى الذات العليا للدلالة على عظمة الرّسول (صلى الله عليه وآله) ويتضح ذلك بإضافة كاف الخطاب إلى (رب) .

٩- بيّن البحث علّة استعمال (فعل) بصيغة الماضي و(يجعل) بصيغة المضارع

وما أرد الله تعالى غير ما أردناه .. وهو أعلم

وصلّى الله على محمد وآله وصحبه .

المصادر :

١. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : احمد بن محمد البنا (ت ١١١٧هـ) تحقيق شعبان محمد
٢. إسماعيل المكتبة الأزهرية ، ط١ / ١٩٨٧ .
٣. إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السّعود) : محمد بن محمد بن مصطفى(ت٩٨٢هـ)
٤. دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٥. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ / ١٤٢٣
٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) : ناصر الدين البيضاوي (ت٦٨٥هـ) تحقيق محمد
٧. عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ / ١٤١٨ هـ
٨. التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) تحقيق أحمد قصير العاملي ،
٩. ط١ / ١٤٠٩ هـ ، دار إحياء التراث العربي .
١٠. التسهيل لعلوم التنزيل : محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي (ت٧٤١هـ) تحقيق د. عبد الله الخالدي ، دار
١١. الأرقم ، بيروت ، ط١/ ١٤١٦هـ .
١٢. تفسير البحر المحيط : أبو حيّان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) تحقيق عادل أحمد وآخرين ، دار الكتب العلمية ،
١٣. بيروت ، ط١ /٢٠٠١م .
١٤. تفسير البصائر : أبو محمد رستكار الجويباري ، إيران ، ط ١ / ١٤٢٣ .
١٥. وتفسير البغوي : البغوي (ت٥١٠هـ) ، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة ، بيروت .
١٦. تفسير الثعلبي: الثعلبي (ت٤٢٧هـ) تحقيق أبي محمد بن عاشور ، ط١/١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م ، دار إحياء
١٧. التراث العربي ، بيروت.
١٨. تفسير السمرقندي : أبو الليث السّمرقندي (ت٣٨٣هـ)، تحقيق د٠ محمود مطرجي ، دار الفكر ، لبنان .
١٩. تفسير السّمعاني : السّمعاني (ت٤٨٩هـ) تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم دار الوطن ،
٢٠. الرياض ، ط١/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٢١. تفسير العز بن عبد السّلام : عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) تحقيق د. عبد الله بن إبراهيم
٢٢. الوهبي ، ط١ / ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، دار ابن حزم ، بيروت .
٢٣. التفسير العلمي للآيات القرآنية ، المهندس ضياء جواد العاملي .
٢٤. وتفسير القرآن العظيم : الإمام الحافظ إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ) ، قدم له الدكتور يوسف عبد الرحمن
٢٥. المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٢٦. التفسير الكبير : فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) ط٣ / د . ت .
٢٧. تفسير الواحدي (الوجيز في تفسير القرآن العزيز) : أبو الحسن الواحدي (ت٤٦٨هـ) تحقيق صفوان عدنان
٢٨. ط١ /١٤١٥هـ ، دار القلم ، بيروت .
٢٩. تقريب النشر في القراءات العشر لابن الجزري (ت٨٣٣هـ) تحقيق الدكتور عادل إبراهيم - المملكة العربية
٣٠. السعودية / ١٤٣٣هـ .
٣١. الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت

٣٢. لبنان ، ط٢ / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
٣٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) قدم له الشيخ خليل الميس، ضبط
٣٤. وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار ، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م .
٣٥. جوامع الجامع : الطبرسي (ت٥٤٩هـ) ، ط١ /١٤٢١هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي .
٣٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمود بن عمر الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) دار إحياء
٣٧. التراث العربي ، بيروت .
٣٨. زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت٥٩٧هـ) تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن عبد
٣٩. الله ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط١/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .
٤٠. الفروق اللغويّة : أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) تحقيق محمد إبراهيم سليم ، دار العلن للثقافة والنشر والتوزيع
٤١. والنشر، القاهرة ، د.ت .
٤٢. كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر / ١٩٧٢ .
٤٣. كتاب سيبويه (ت١٨٠هـ) تحقيق د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط٢ / ٢٠٠٩ م .
٤٤. كتاب العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) تحقيق د. مهدي المخزومي . د. إبراهيم السامرائي ،
٤٥. دار الشؤون القفافية العامة ، بغداد ١٩٨٠م – ١٩٨٥م .
٤٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : جار الله محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ)
٤٧. مكتبة مصطفى الحلبي في مصر ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .
٤٨. مجمع البيان في تفسير القرآن : الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) تحقيق وتعليق لجنة من العلماء
٤٩. المحققين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .
٥٠. معـاني الأبنية في العربيّة : الدكتور فاضل السّامرّائي ، ط٢ ، دار عمـار للطباعة والنشر والتوزيع /٢٠٠٧م
٥١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر آوند دانش د. ت .
٥٢. المعرّب من الكلام الأعجمي : أبو منصور الجواليقي (ت٥٤٠هـ) ، ط٣ ، دار الكتب المصريّة ، القاهرة /
i. ١٩٩٥م .
٥٣. مغنى اللبيب من كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،
٥٤. مطبعة المدني ، القاهرة .
٥٥. المفردات في غريب القرآن: الرّاغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) تحقيق صفوان عدنان ١٤٢٥هـ .
٥٦. منّة المنّان في الدّفاع عن القرآن : محمد الصّدر، مركز الدراسات التخصصية ، ط١ / ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
٥٧. الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي (ت) منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ،
٥٨. لبنان .